سبرة بأربعة آلاف دينار ، فلما قبضها قال : إن لله خزائن وإنك من خزائنه

« أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم »

أول من فرق القضاء فى الجانبين موسى الهادى ، ولما توفى المهدى ولى موسى أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية بن فحافة بن بلبل بن سدوس بن عبد مناف بن أبى أسامة بن سمحة بن سعد بن عبدالله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث ابن بجيلة . وأم سعد بن بجير حبنة بنت مالك من بنى عمرو بن عوف . وسعد بن حبنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مع رافع بن خديج وابن عمر

قول عمرو هو مطعون

حدثنا عباس بن محمد الدورى قال : حدثنا محمد بن بشر العبدى قال : حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن أم خنيس قالت : دخلت أنا وعمرة بنت رواحة على عمر حين طعن نعوده فسمعته يقول : إنى قد أقمت لكم الطرق فلا تعوجوها .

قال عباس : سمعت يحيى بن معين يقول احتبس عمه أبو يوسف القاضى فولى موسى أبا يوسف على قضاء الجانب الغربى وولى سعيد بن عبد الرحمن الجمحى على الجانب الشرقى مكان عافية بن يزيد .

حيلة أبى يوسف فى قضاء

فأخبرنى إبراهيم بن أبى عثمان عن يحيى بن عبد الصمد قال : خوصم موسى أمير المؤمنين إلى أبى يوسف فى بستانه ، فكان الحكم فى الظاهر لأمير المؤمنين وكان الأمر على خلاف ما يظهر من الحكم . فقال أمير المؤمنين ما صنعت فى الأمر الذى نتنازع إليك فيه ؟ قال : خصم أمير المؤمنين يسألنى أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على

حق ، فقال موسى . وترى ذاك قال : قد كان ابن أبي ليلى يراه . قال : فاردد البستان عليه . وإنما احتال عليه أبو يوسف .

أخبرني الحسن بن محمد بن أبي معشر أن أباه حدثه قال : كان أبو يوسف مستملي أبي معشر بالحيرة .

شدة حفظ أبي يوسف

حدثنا محمد بن إشكاب قال : حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال سمعت أبي يقول : كان الحجاج بن أرطاة لا يملي علينا ، وكان يعقوب أبو يوسف يسأله ؛ فإذا قام الحجاج قام الناس إلى يعقوب ، أملى عليهم عن ظهر قلب قال حفص : وكنت أنا لا أكتب إلا ما وقع في ألواحي .

حدثني محمد بن حماد بن المبارك المقرئ قال : سألت يحيى بن معين عن أبي يوسف فقال : حسن الحديث وليس له بحث .

أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال : قرأت على المفضل بن غسان عن علي بن صالح : استقضى أبو يوسف لموسى فكان يقضي في كل شيء وموسى يترك الموضع المسمى بالجلد ، وأبو يوسف يقضي بباب موسى في كل شيء . وعمر بن حبيب يقضي في السرقة فكان أول من قضى عليه أبو يوسف «منارة» كان قدمه إليه عيسى وثبت على منارة ، فادعى أنه أخذ ماله ، فقضى على منارة ، وكان شريك بالكوفة ، فشكاه أبو يوسف وعافية إلى المهدي وقالوا : إنه لا ينفذ كتبنا ولا يلتفت إلينا ، فهذا يدل على أن أبا يوسف استقضى في أيام المهدي لموسى على بابه .

قال علي بن صالح : وقد كان أبو يوسف خرج معنا مع موسى أيام المهدي إلى جرجان ، أخبر سلام صاحب المظالم المهدي أنه شخص مع موسى وأن كتبه عند ابنه يوسف ويستأمر المهدي إلى من يدفع ، فقال المهدي أليس ابنه كافياً مجزيا ؟ قال : بلى ، قال : فقد وليناه القضاء مكان أبيه ،

فكان يوسف قاضياً أيام المهدى ونحن بجرجان وكانت كتبه تأتينا إلى جرجان وهو على القضاء، فنفر بينهما أبو يوسف فبعث إليه مرة بشراء قد اشتراه إلى يوسف فقال لى أبو يوسف انظر فى هذا الشراء وقد أشهد فيه يوسف جماعة أصحابنا وسماهم على، فقلت له ما أرى بأساً فقال هذا فاسد، يكتب شراء باسمى وأنا غائب قال كأنهم يومئذ لم يكونوا نظروا هذا النظر.

كان يوسف قاضيا بمدينة السلام

قال على: وما أعلم أحدا بقى اليوم يعلم أن يوسف بن أبى يوسف كان قاضيا أيام المهدى غيرى، فلما استخلف موسى وقدم بغداد كان قاضيه أبو يوسف فى جميع بغداد وعمر بن حبيب فى الشرقية ولم يزل يوسف قاضياً حتى مات، وكان أبا يوسف يسافر مع الرشيد ويوسف يقضى بمدينة السلام. والرشيد ولى أبا يوسف قضاء القضاة.

النبيذ الجمهورى

وأخبرنا أبو بكر الحسن بن محمد بن أبى معشر قال: حدثنى أبى قال لما أدخل أبو يوسف النبيذ الذى يقال له الجمهورى - وهو الذى يطبخ حتى يذهب بثلثاه ثم يصب عليه الماء ثم يطبخ ثم ينزل - قال أبى فكأن الناس قد أنكروا هذا على أبى يوسف وتكلموا فيه.

توبة زاهد من سب أبى يوسف

قال وكان رجل من الزهاد يأتى مجلس أبى معشر فربما ذكر هذا من قول أبى يوسف فعابه وتكلم فيه. فحضر يوما مجلس أبى معشر يوسف بن أبى يوسف وتكلم. قال الشيخ قبل أن يجلس أبو معشر للحديث، ثم جلس أبو معشر فأعاد الشيخ ذكر أبى يوسف قال يوسف - وكان أعور، وأقبل على الشيخ فقال - يا هذا اتعرفنى؟ قال: لا، فقال فأنا ابن الشيخ الذى عبت منذ اليوم ونقصت فغفر الله لنا ولك، فقال له الشيخ: لقد كنت أرى أن قولى هذا ديانة والله لاذكرت أباك بعد يومى هذا بسوء أبدا، فأقبل على أبى معشر فقال لى يا بنى هذا الأعور سيد.

شهادة ليوسف

أخبرنى إبراهيم بن عثمان قال: حدثنى عبد الله بن عبد الكريم أبو

عبد الله الحوارى قال : كان يوسف بن أبى يوسف عفيفا مأمونا صدوقا قرأعليه أبو يوسف أكثر كتبه ، وكان أعلم بتدبير القضاء وأضبط له من أبى يوسف، ولم يكن له اقتناع فى النظر ولا الحفظ . قال القاضى: وقد حمل عن أبى يوسف الحديث .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره ، عن أحمد بن منيع عن يوسف بن أبى يوسف عن الوليد بن عيسى عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدفع يوم القيامة رجل من اليهود أو النصارى إلى المسلم فيقال هذا فداؤك من النار » .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره عن أحمد بن منيع عن يوسف بن أبى يوسف قال : حدثنا أبو بشر بن أبى إسحق عن ابن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى عن النبى عليه السلام مثله .

شعر فى يوسف

وزعم الطوسى أن أبا يعقوب الخريمى سمع يوم مات أبو يوسف رجلا يقول : اليوم مات الفقه ، فقال :

ياناعى الفقه إلى أهله ٭ أن مات يعقوب وماندرى
لم يمت الفقه ولكنه ٭ حول من صدر إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسف ٭ فزال من طيب إلى طهر
فهو مقيم فإذا ما نوى ٭ حل وحل الفقه فى قبر

أبو يوسف والمريسى

حدثنا محمد بن إشكاب قال : سمعت أبى يقول سمعت أبا يوسف وذكر بشر المريسى فقال : جيئونى بشاهدين يشهدان أنه تكلم فى القرآن والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط .

أول من قال إن القرآن غير مخلوق

وحدثنا إسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو يعقوب لؤلؤ قال : أخبرنى إسحق بن عبد الرحمن عن الحسن بن أبى مالك عن أبى يوسف

قال : أول من قال القرآن ليس بمخلوق : أبو حنيفة .

وحدثنا محمد بن إشكاب قال : حدثنى أبى والهيثم بن خارجة قالا : سمعنا أبا يوسف يقول : بخراسان صنفان ما على الأرض شر منهما المقاتلية والجهمية .

كان أبو يوسف يستغفر لأبى حنيفة دبر الصلاة

أخبرنى إبراهيم بن أبى عثمان قال : حدثنى الفضل بن سعيد بن سلم عن أبيه قال : قلت لأبى يوسف أكان أبو حنيفة يرى رأى جهم ؟ قال : نعم ، قلت فأين أنت منه قال : لا أين ، قلت : وكيف وأنت من أصحابه قال : كان أبو حنيفة رجلا قد أوتى فهماً ، فكنا نأتيه وكان لنا مدرساً .

أخبرنا أحمد بن أبى خيثمة قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : أخبرنا أبو سفيان الحميرى عن على بن حرملة قال : كان أبو يوسف يقول فى دبر صلواته : اللهم اغفر لى ولوالدى ولأبى حنيفة .

كلام لأبى يوسف

أخبرنى على بن إشكاب قال : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يوسف يقول من طلب العلم بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر ، ومن طلب الحديث بالغرائب كذب .

حدثنى محمد بن إسحاق الصغانى قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى قال حدثنا محمد بن إدريس الشافعى عن ابن أخى السمرى عن أبى يوسف قال : العلم بالكلام جهل .

العمل يجب إن لا يراد به إلا وجه الله

حدثنى على بن إشكاب قال سمعت أبى يقول : سمعت أبا يوسف يقول ياقوم أريدوا بفعلكم الله ، فإنى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح .

خصمان عند أبى يوسف

حدثنى الأحوص بن المفضل بن غسان قال : حدثنى أبى قال : قال

محمد بن عبد الله الأنصارى كنا عند أبى يوسف فى دار أبيه فجاء رجل تاجر حتى جلس عند أسكفة الباب ، فقال : إن هذا قد أبى أن يدفع إلى ما أمر أن يدفعه إلى ، فقال الآخر : فإنى قد دفعت إليه ما كان فى يدى ، قال الآخر : قبله ثلثمائة كر من شعير لم يدفعها إلى ، قال الآخر قد دفعت إليه ما كان فى يدى ، فقال له أبو يوسف : فاحلف لقد أخذت إليه الثلثمائة كر قال : فجعل يراده حتى أعادها عليه ثلاث مرات ، فقال : اشهدوا أنى قد قضيت عليه بثلثمائة كر ، قال الآخر فإنى أحلف ، قال : فقال ابنه يوسف أراد بعد الحكم. قال فقلت : يا أبا يوسف لو قلت له إنى راد عليك هذا القول ثلاث مرات فإن فعلت وإلا حكمت عليك . قال : فنظر .

تحليف الذمى فى معبده

أخبرنى إبراهيم بن أبى عثمان عن يحيى بن عبد الصمد قال : سمعت شولة بن الحكم يقول : كان أبو يوسف ربما وجهنى مع الذمى إلى البيعة والكنيسة أستحلفه فيها .

أخبرنى أحمد بن أبى خيثمة قال أخبرنى محمد بن هارون الوراق قال سأل سعيد الجرشى أبا يوسف القاضى مايقول فى السواد قال : النور فى السواد ـ يعنى إن نور العينين فى الناظر ـ فرضى بذلك الجرشى فظن أنه من مدح لباس السواد .

مالك بن أنس وأبو يوسف

حدثنا أحمد بن إسماعيل السهمى قال : حدثنى مطرف الأصم قال : قدم هرون المدينة ومعه أبو يوسف فبعث إلى مالك بن أنس : يأمرك أمير المؤمنين أن تخرج إليه ، فكتب إليه مالك يا أمير المؤمنين إنى رجل عليل فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى بما أراد فعل ، فأراد أن يكتب إليه ، فقال له أبو يوسف ابعث إليه حتى يجىء إليك فبعث إليه فجاءه

فى دار مروان وقد هيئ لكل إنسان مجلس فهيئ لمالك مجلسه الذى له فقال له أبو يوسف : ماترى فى رجل حلف ألا يصلى نافلة أبدا ، قال يضرب ويحبس حتى يصلى ، قال فجاء هارون فقال له أبو يوسف : يا أمير المؤمنين إنى سألت مالكا عن كذا وكذا فقال كذا فقال له هارون وترى ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : لا قال أبو يوسف أليس أفتيتنى بذلك ؟ قال : بلى ولكن أبا يوسف رجل عراقى إن أفتيته بترك النافلة يفتى الناس بترك الفريضة ، وأنت لا أخافك على ذلك ، فلما خرج مالك خرج معه أبو يوسف يتوكأ عليه ومالك يقول له : ارجع حتى بلغه منزله .

مالك وأبو يوسف

سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفى يقول : سمعت أبا محمد الزهرى يقول قدم هرون الرشيد المدينة فقعد فى المسجد وقعد معه أبو يوسف ، وبعث إلى مالك بن أنس قال : فجعل أولاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلون أربعة أربعة ، فيقول هارون أفيهم هو ، فيقولون لم يجئ بعد ، حتى دخل مالك متوكئا على رجل من ولد أبى بكر وآخر من ولد على ، فلما نظر إليه هارون قال : إن الرجل ليعظمه أهل بلده ، قال فسلم وجلس فقال له هارون يا أبا عبد الله أجب يعقوب فيما يسألك عنه ، قال : يا أمير المؤمنين ليس من أهل العلم أنشدك بالله هل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يأخذ منه فيجعله حيث أراد الله . قال هارون : نعم ، قال : فأنشدك الله هل لعمر وقف قال اللهم نعم ، قال فهذا يزعم أن الوقف باطل ، فالتفت هارون إلى أبى يوسف مغضبا فقال ماتقول قال : كان صاحبنا لا يراه وأنا أراه ، قال فقال له مالك : ماتقول فى الإمام يجهر بمرفة أو يخافت ؟ قال فقال أبو يوسف : يجهر ، قال أسأل الله ألا

يهديك والله يا أمير المؤمنين إن السقايات بالمدينة يبيعون [1] هذا ويلك إنما هي ظهر وعصر، فقال له يعقوب : ما تقول فى رجل بعث مع رجل دينارين ورجل دينارا فخلطاها فلما قدم فتحها فأصاب دينارين فقال مالك أما واحد فهو لصاحب الاثنين لاشك فيه ، وواحد فيه شك فيشاطرانه قال أبو جعفر : وقد حدثنى بمسائل غير هذه لم أحفظ منها غيرهاتين .

فتوى لأبى يوسف

أخبرنى أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل السلمى ومحمد بن العباس الكابلى قالا: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى قال : حدثنى مالك ابن أنس قال : بلغنى أن أبا يوسف جاءه إنسان فقال إنى حلفت بطلاق امرأتى لأشترين جارية وذلك يشتد علي لمكان زوجتى ومنزلتها عندى فقال له أبو يوسف فاشتر سفينة فهى جارية .

خليفة وإحدى الجوارى

حدثت عن القاسم بن محمد المروزى عن اليأس بن الكامل عن ابن المبارك قال : لما مات فلان الخليفة خلف جوارى فرهة فأراد ابنه وطء جارية منهن فقالت : إنى لا أحل لك إن أباك وطئنى ، فذهب وهو يقول

أرى ماء وبى عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكينى ... وأن الناس كلهم عبيدى
وأنك لو قطعت يدى ورجلى ... لقلت من الهوى أحسنت زيدى

ثم دعا أبا يوسف فسأله عن ذلك ، فقال : ليس كلما قالت الجارية يقبل منها فأجازه بجائزة عظيمة وكناه بأبى المفرج .

شريك يرد شهادة أبى يوسف

أخبرنى جعفر بن محمد قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول سمعت يحيى بن آدم يقول رد شريك شهادة أبى يوسف فقيل له أترد شهادته فقال ألا أرد شهادته وهو يقول : إن الصلاة ليس من الإيمان ؟

(١) هكذا بالأصل .

شهود تسموا بأسماء غيرهم

أخبرنى ابراهيم بن أبى عثمان قال: حدثنى ابراهيم بن الربيع بن سليمان السكلابى من بنى الوحيد قال كان عبدوس بن عبيدة بن أبى اليمان العقيلى اختصم هو وابن خالته خنيس بن ساعدة العقيلى إلى أبى يوسف القاضى ببغداد فذهب عبدوس فأحضر شهودا وسماهم على أسماء أئمة المساجد المعدلين فلما شهدوا عند أبى يوسف سأل عنهم فعدلوا ، وذلك سرا ، -وكذلك كانوا يعدلون فى السر- فجاء خنيس حينئذ إلى أولئك الشهود المشهورين الأئمة فجعل يلقى الرجل فيقول ياعبدالله لم شهدت على فيقول لا والله ماشهدت عليك ولا أعرفك ولا أعرف عبدوسا . فذهب خنيس إلى أبى يوسف فأخبره فقال : أحضروهم ، فتبين أبو يوسف أنهم ليس بأولئك الذين شهدوا ، فأمر بعبدوس فحمل ثم ضرب خمسين درة ، فقال عبدوس فى أبى يوسف قصيدة طويلة أحفظ منها :

شعر فى أبى يوسف

مركب الناس ثنايا قسمت * وأبو يوسف مركوب العرب
وكذا المركوب من قلته * قال من حالب هذا لاحلب
أشبه الناس وجهاً وقفا * ورعينات بشيطان اللعب
ويرى الخنزير فى جفنه * كوز فقاع إذا حل وثب
فإذا أقعى على منـــبره * خلته القرد إذا القرد صلب

شعر فى أبى يوسف

قال : وبلغنى أن هارون كان إذا رأى قصر أبى يوسف وهو يمشى قال : قاتل الله الرقى .

قال على بن الخليل الكوفى ، فى أبى يوسف فى قصيدة :

دعوت له بشـــبوط * يرى بظهره حـــدبا
فقال أما لجارك من * طعام يذهب السغبا

أصب لأخيك يربوعا ٭ وضبا واترك اللعبا
وقام إليه ساقينا ٭ بكأس ينظم الحببا
معتقة مروقة ٭ تسلى هم من شربا
فأمسكها براحته ٭ فلما شمها قطبا
وإلا لا تسلسلها ٭ وقال أصب لنا حلبا
وأمسك أنفه عنها ٭ وقام موليا هربا
يريد الشيح والقيصو ٭ م كى يستوجب السبا
وقد أبصرته زمنا ٭ يحب الظرف والأدبا
فصار تشبهاً بالقو ٭ م جلفاً جافياً خشبا
إذا ذكر الثريد بكا ٭ وأبدا الشوق والطربا
وليس ضميره فى القد ٭ ب إلا التين والعنبا
يروح بنسبة المولى ٭ وشيخ تدعى العربا
فلا هذا ولا هذا ٭ ك يدركه إذا طلبا
أيرغب عن بنى كسرى ٭ وما عن مثلهم رغبا
جحدت أباك نسبته وترجو أن تفيد أبا

أخبرنى أبو السهل الرازى أحمد بن محمد القاضى قال : حدثنا على ابن الجعد قال : سمعت أبا يوسف يقول قال لى يحيى بن خالد كل شىء تحسن غير مجالسة الملوك فإنه لا علم لك بأيام الناس ، قال فجلست فى البيت شهراً ونظرت فى أيام الناس فحفظت أمراً عظيما ، ثم أتيت يحيى ابن خالد فتذاكرنا فقال لى : كأنك لا تحسن شيئاً إلا هذا أكنت تستره ؟ .

أخبرنى محمد بن القسم بن مهرويه قال : حدثنى عبد الله بن طاهر ابن أحمد الزبيرى قال : كان رجل يجلس إلى أبى يوسف القاضى فيطيل الصمت فقال له أبو يوسف : ألا تسل ألا تتحدث ؟ قال : بلى قال متى يفطر الصائم ؟ قال : إذا غربت الشمس ، قال : فإن لم تغرب الشمس إلى نصف الليل ؟ قال : فتبسم أبو يوسف وتمثل ببيتى الخطفى جد جرير :

عجبت لإزراء العيى بنفسه ٭ وصمت الذى قد كان بالعلم أعلما
وفى الصمت ستر للعيى وإنما ٭ صحيفة لب المرء أن يتكلما

الأصمعى يضع من شأن أبى يوسف

قال أبو يزيد عمر بن شبة : حدثنى رجاء بن سلمة قال : سمعت الأصمعى يقول أبو يوسف دعى ، فقلت إن مثلك لا يقول دعى إلا فى أمر صحيح فقال أنا رأيته فلاسا ؛ قال : فذكرت ذلك لعبدالله بن داود فقال كذب الأصمعى أنا أسن منه رأنا جار أبى يوسف بيت بيت أعرفه مع معرفتى بنفسى ، ما رأيته قط إلا نبيلا يركب الدواب وما رأيته قط فلاسا .

السنة التى توفى فيها أبو يوسف

أخبرنى الحرث بن محمد بن أبى أسامة عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة أن أبا يوسف توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة فى شهر ربيع الآخر .

« سعيد بن عبد الرحمن الجمحى »

استقضاه موسى المهدى على الجانب الشرقى ، وتوفى سعيد بن عبد الرحمن فيما أخبرنى عبد الله بن محمد بن سعيد عن يحيى بن أيوب قال مات سعيد ابن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ومائة . قال يحيى : وولد سنة سبع وخمسين ومائة ، وقال محمد بن سعيد : توفى سعيد بن عبد الرحمن سنة ست وتسعين ومائة .